 [](http://www.alukah.net/)

**تعظيم الله تعالى**

**"الوسائل والسبل"**

**الدكتور / كامل صبحي صلاح**

أستاذ الفقه وأصوله بجامعة أم القرى - سابقاً

وعضو رابطة علماء الأردن

**تعظيم الله تعالى**

**"الوسائل والسبل"**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

سنتكلم بإذن الله تعالى في هذا البحث عن السبل والوسائل لتحقيق تعظيم الله تعالى في القلوب والنفوس، وسيكون الكلام بهذا الموضوع على شكل نقاط مقرونة بأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة.

والهدف المنشود من هذا البحث هو كيفية تحقيق تعظيم الله تعالى في نفوسنا وقلوبنا من خلال السبل والوسائل الشرعية، التي نصت عليها الأدلة من الكتاب والسنة، ودعوة الناس لتحقيق ذلك التعظيم في نفوسهم وقلوبهم، والوسائل والسبل والأساليب لتحقيق تعظيم الله تعالى كثيرة وهي منشورة مبثوثة، وقبل البدء في ذكرها وسردها، لا بد من بيان أهمية ومكانة تعظيم الله جل وعلا في النفوس والقلوب.

- مكانة تعظيم الله من الدين

إنّ تعظيم الله جل وعلا من أجلّ العبادات القلبية، والواجبات الحتمية، والفرائض القطعية على العباد جميعا ، فالإيمان بالله تعالى متوقّفٌ على تعظيمه وإجلاله وتقديسه، فالله تعالى عظيمٌ في ذاته، وعظيم في أسمائه وصفاته، وعظيم في ملكه وسلطانه، وعظيم في خلقه.

قال الله تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (مريم90).

قال الطبري: «تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين، من عظمة الرحمن وجلاله ».

وقال ابن عباس، قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ قال: يعني من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى».

وقال قتادة، قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾: أي من عظمة الله وجلاله» ([[1]](#footnote-1)).

وقال السعدي:« من عظيم أمره أنه ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ ﴾ على عظمتها وصلابتها ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ أي: من هذا القول ﴿ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴾ منه، أي: تتصدع وتنفطر ﴿ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ أي: تندك الجبال " ([[2]](#footnote-2)).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن اللهِ جلَّ وعلا:« الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمَن نازَعني في شيءٍ منه أدخَلْتُه في النّارِ » ([[3]](#footnote-3))، وفي رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم، قال اللهُ تعالى: « الكبرياءُ رِدائِي، فمَنْ نازعَنِي في رِدائِي قَصَمْتُهُ » ([[4]](#footnote-4)).

ولقد جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في بيان فضل وأهمية تعظيم الله تعالى

ومنها قوله تعالى في معرض ذكر صفات عباده المؤمنين: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) الرعد: 22.

قال الطبري:«ويعني بقوله: ﴿ ابتغاء وجه ربهم ﴾، طلب تعظيم الله تعالى، وتنزيهًا له أن يُخالَفَ في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به » ([[5]](#footnote-5)).

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية تعظيم الله سبحانه وإجلاله فيقول: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح » ([[6]](#footnote-6)).

ومما قاله ابن القيّم عن منزلة التعظيم: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمّاً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال الله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ [نوح: 13]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت » ([[7]](#footnote-7)).

ويقول محمد الأمين الشنقيطي:« إن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظماً له جلّ وعلا، غير متنجّس بأقذار التشبيه"([[8]](#footnote-8)).

ولا شك ولا ريب أن الجهل بدين الله تعالى، وقلة العلم الشرعي، وضعف التفقه في هذا الأصل العظيم، لهو من أهم أسباب الوقوع في تلك المخالفات المنافية لتعظيم الله جل وعلا.

**سبل ووسائل تعظيم الله تعالى**

إن الوسائل والسبل المعينة على تحقيق تعظيم الله تبارك وتعالى كثيرة في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، ومنها:

‏1- معرفة أسمائه وصفاته جل وعلا، إن مما لا شك فيه أن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته

والتعرف على ما اتصف الله تعالى به من صفات عظيمة، وصف بها نفسه مثل الخلق والملك والتدبير، تعين على تحقيق تعظيم الله تعالى، قال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف ١٨٠].

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر ٢٤].

وقال الله تعالى:﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر ٢٢-٢٤].

بمعنى « هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المُنَزَّه والمُقَدَّس عن كل نقص، السالم من كل عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي قهر بجبروته كل شيء، المتكبر، تَنَزَّه الله وتَقَدّس عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها» ([[9]](#footnote-9)).

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:67].

قال ابن كثير: « وَمَا قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ ».

ويتحقق تعظيم الله تعالى بإثبات صفاته له كما يليق به، دون تحريفٍ أو تعطيلٍ أو تكييفٍ أو تمثيلٍ، وإنكار بعض صفاته هو في الحقيقة عدم تقديرٍ لله تعالى كما يجب، وعدم معرفةٍ به، كما أنّ من أسماء الله تعالى: المجيد، والكبير، والعظيم، فالأسماء تدلّ على أنّ الله تعالى موصوفٌ بصفاتٍ المجد والكبرياء والعظمة، وهو أكبر من كلّ شيءٍ، وأعظم من كلّ شيءٍ

قال الله تعالى:﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه ٥ ]" ([[10]](#footnote-10)).

قال الطبري: «الرحمن على عرشه ارتفع وعلا»([[11]](#footnote-11)).

وقال الله تعالى:﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية ٣٧].

قال القرطبي: « "وَلَهُ الْكِبْرِياءُ" أَيِ الْعَظَمَةُ وَالْجَلَالُ وَالْبَقَاءُ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَمَالُ. "فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ».([[12]](#footnote-12)).

2- تقديم أمر الله تعالى وحكمه على أمر المخلوق وحكمه، فيه تعظيم لله تبارك وتعالى، قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٦].

يجب تعظيم شعائر الله تعالى جميعها، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ ﴾ [الحج:32].

3-عدم الإشراك مع الله تعالى شيئاً في الحب والتعظيم والإجلال: قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُب اللَّهِ ) البقرة: 165.

بمعنى « مع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق من الناس من دون الله أصناماً وأوثاناً وأولياء يجعلونهم نظراء لله تعالى، ويعطونهم من المحبة والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده. والمؤمنون أعظم حبّاً لله من حب هؤلاء الكفار لله ولآلهتهم؛ لأن المؤمنين أخلصوا المحبة كلها لله، وأولئك أشركوا في المحبة » ([[13]](#footnote-13)).

وقال تعالى: ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ [نوح: 13]

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ أَيْ: عَظْمَةً قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تُعَظِّمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، أَيْ: لَا تَخَافُونَ مِنْ بَأْسِهِ وَنِقْمَتِه "([[14]](#footnote-14)).

4- إن مما يعين على تعظيم الله تبارك وتعالى هو تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى، وتدبر آياته العظيمة الدالة على تعظيمه وإجلاله جل وعلا، والآيات الدالة على تعظيم الله تعالى كثيرة ومبثوثة، فإذا تدبرها القارئ يدرك عظمة الخالق جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد ٢٤].

قال الطبري:« أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكَّرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر([[15]](#footnote-15)).

قال الله تعالى:﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر ٢١].

قال الشوكاني: «لَمّا فَرَغَ سُبْحانَهُ مِن ذِكْرِ أهْلِ الجَنَّةِ وأهْلِ النّارِ، وبَيَّنَ عَدَمَ اسْتِوائِهِمْ في شَيْءٍ مِنَ الأشْياءَ ذَكَرَ تَعْظِيمَ كِتابِهِ الكَرِيمِ، وأخْبَرَ عَنْ جَلالَتِهِ، وأنَّهُ حَقِيقٌ بِأنْ تَخْشَعَ لَهُ القُلُوبُ وتَرِقَّ لَهُ الأفْئِدَةُ فَقالَ: ﴿ لَوْ أنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأيْتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِن خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ أيْ مِن شَأْنِهِ وعَظَمَتِهِ وجَوْدَةِ ألْفاظِهِ وقُوَّةِ مَبانِيهِ وبَلاغَتِهِ واشْتِمالِهِ عَلى المَواعِظِ الَّتِي تَلِينُ لَها القُلُوبُ أنَّهُ لَوْ أُنْزِلَ عَلى جَبَلٍ مِنَ الجِبالِ الكائِنَةِ في الأرْضِ لَرَأيْتَهُ مَعَ كَوْنِهِ في غايَةِ القَسْوَةِ وشِدَّةِ الصَّلابَةِ وضَخامَةِ الجِرْمِ ﴿ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا ﴾: أيْ مُتَشَقِّقًا مِن خَشْيَةِ اللَّهِ سُبْحانَهُ حَذَرًا مِن عِقابِهِ وخَوْفًا مِن أنْ لا يُؤَدِّي ما يَجِبُ عَلَيْهِ مِن تَعْظِيمِ كَلامِ اللَّهِ، وهَذا تَمْثِيلٌ وتَخْيِيلٌ يَقْتَضِي عُلُوَّ شَأْنِ القُرْآنِ وقُوَّةَ تَأْثِيرِهِ في القُلُوبِ، ويَدُلُّ عَلى هَذا قَوْلِهِ: ﴿ وتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فِيما يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّفَكُّرُ فِيهِ لِيَتَّعِظُوا بِالمَواعِظَ ويَنْزَجِرُوا بِالزَّواجِرَ، وفِيهِ تَوْبِيخٌ وتَقْرِيعٌ لِلْكُفّارِ حَيْثُ لَمْ يَخْشَعُوا لِلْقُرْآنِ، ولا اتَّعَظُوا بِمَواعِظِهِ، ولا انْزَجَرُوا بِزَواجِرِهِ، والخاشِعُ: الذَّلِيلُ المُتَواضِعُ » ([[16]](#footnote-16)).

5 - إن التفكر في مخلوقات الله عز وجل؛ يعين على تعظيم الله تبارك وتعالى، فيدرك العبد من خلالها عظمة الخالق جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ\* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران:191].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الله جل وعلا:﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية ١٧-٢٠].

بمعنى أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟

قال ابن جزي:« حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها، وأبوالها وغير ذلك »([[17]](#footnote-17)).

6-ترك تعظيم المخلوقين ورفعهم فوق منزلتهم، والغلو فيهم، سواء أكانوا من أهل الدنيا، أم كانوا من الأولياء والصالحين.قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُب اللَّهِ ﴾ [البقرة: 165].

قال البغوي في تفسير قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا ﴾ أَيْ أَصْنَامًا يَعْبُدُونَهَا ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أَيْ يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُحِبُّونَ الْأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّونَ اللَّهَ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللَّهِ فَسَوَّوْا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَوْثَانِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ أَيْ أَثْبَتُ وَأَدُومُ عَلَى حُبِّهِ لِأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللَّهِ مَا سِوَاهُ »([[18]](#footnote-18))

7 - إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى تعلق قلب العبد بخالقه ومولاه جل وعلا، وصدق النية في التوجه إليه عند دعائه جل وعلا، فالله جل وعلا لا يخيب من رجاه ودعاه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة ١٨٦]

قال السعدي:« هذا جواب سؤال، سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا من داعيه، بالإجابة، ولهذا قال: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى:( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) ([[19]](#footnote-19)).

8- إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى ألا تعدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ ولا في الفعل، مثل قول القائل: "ما شاء الله وشئت"،لحديث عبدالله بن عباس قال: (جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فراجعَه في بعضِ الكلامِ فقال: ما شاء اللهُ وشئتَ فقال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أجعَلْتني مع الله عِدلًا (وفي لفظ ندًّا) لا بل ما شاءَ اللهُ وحدَه) ([[20]](#footnote-20)).

-9 إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى عدم ذكر اسمه جل وعلا مع المحقرات:

قال بعض السلف:" ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره".

فكانوا يستنزهون أن يوضع اسم الله بجوار ما يستقبح ذكره، فيقرن اسمه به، كأن يقول الرجل:" قبح الله الكلب والخنزير"، ويقول الخطابي: "وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلّ ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعة" ([[21]](#footnote-21)).

وكان أبو بكر الشاشي يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم في الله تعالى، إجلالاً لاسمه تعالى، ويقول: "هؤلاء يتمندلون (من المنديل، يريد الامتهان والابتذال) بالله عزّ وجلّ" ([[22]](#footnote-22)) ومن أروع الأمثلة التي دوّنها التاريخ عن سلفنا الصالح، وتعظيمهم لله عزّ وجلّ، ما وقع لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى، لما سأله أحدهم عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:5] "كيف استوى؟" فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال؟ يقول الرواي: "فما رأيته وجد (غضب) من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء (العرق)، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سُرّي عن مالك، فقال: "الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاًّ"، ثم أُمر به فأُخرج" ([[23]](#footnote-23)).

10 -إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى عدم نسبة الشر إليه جل وعلا، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لبيك وسعديك، الخير كله في يديك، والشر ليس إليك" ([[24]](#footnote-24)).

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: 79، 80.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ أَيْ: هُوَ خَالِقِي وَرَازِقِي، بِمَا سَخَّرَ ويَسَّر مِنَ الْأَسْبَابِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، فَسَاقَ المُزْنَ، وَأَنْزَلَ الْمَاءَ، وَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ، وَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لِلْعِبَادِ، وَأَنْزَلَ الْمَاءَ عَذْبًا زُلَالًا لِـ ﴿ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [الْفَرْقَانِ:٤٩] ([[25]](#footnote-25)).

وَقَوْلُه تعالىُ: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أَسْنَدَ الْمَرَضَ إِلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ عَنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وخلَقْه، وَلَكِنْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ أَدَبًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى آمِرًا لِلْمُصَلِّي أَنْ يَقُولَ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الْفَاتِحَةِ:٦، ٧] فَأَسْنَدَ الْإِنْعَامَ إِلَى اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْغَضَبَ حُذف فَاعِلُهُ أَدَبًا، وَأَسْنِدَ الضَّلَالَ إِلَى الْعَبِيدِ، كَمَا قَالَتِ الْجِنُّ: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن:١٠]؛ ولهذا قال إِبْرَاهِيمُ: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ أَيْ: إِذَا وَقَعْتُ فِي مَرَضٍ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شِفَائِي أَحَدٌ غَيْرُهُ، بِمَا يُقَدِّرُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ »([[26]](#footnote-26)).

11 - إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى تقديم طاعة الله تعالى على طاعة المخلوق، فطاعة الله تعالى مطلقة في كل شيء. وطاعة المخلوق مقيدة بالمعروف، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:« إنما الطاعة في المعروف» ([[27]](#footnote-27)) متفق عليه.

وقوله عليه الصلاة والسلام:" لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"([[28]](#footnote-28)).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب 36].

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا ﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد ([[29]](#footnote-29)).

12 -إن من تعظيم توقير الله تعالى أن تقتطع له من أعز الأوقات وقتاً، ومن أعز الأموال مالاً، فينبغي ألا تجعل لله جل وعلا الفضلة في الوقت، ولا في الجهد، ولا في الصحة، ولا في المال، ولا في الكلام والذكر.

قال الله تعالى:﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران 92].

قال السعدي: «هذا حث من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال ﴿ لن تنالوا ﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال" ([[30]](#footnote-30)).

13 -إن من علامة تعظيم الله تعالى خوف ووجل القلب عند سماع ذكره جل وعلا، قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال ٢].

قال الطبري: «ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها،وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك، تصديقًا. وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إيَّاهم إيمانًا "وعلى ربهم يتوكلون"، يقول: وبالله يوقنون، في أن قضاءه فيهم ماضٍ، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه ». ([[31]](#footnote-31))

وقال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الحج ٣٥].

بمعنى الذين إذا ذُكِر الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، وأدَّوُا الصلاة تامة، ويصبرون إن أصابهم بلاء، وينفقون في وجوه البر مما رزقهم الله تعالى ([[32]](#footnote-32)).

14- إن من علامة تعظيم الله تبارك وتعالى زيادة الإيمان عند سماع آيات القرآن الكريم، قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة124-125].

قال الطبري: « وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول: أيها الناس، أيكم زادته هذه السورة إيمانًا؟ يقول: تصديقًا بالله وبآياته. يقول الله: ﴿ فأما الذين آمنوا ﴾، من الذين قيل لهم ذلك ﴿ فزادتهم ﴾، السورة التي أنزلت ﴿ إيمانا ﴾، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين " ([[33]](#footnote-33)).

15 -إن من علامة تعظيم الله تبارك وتعالى الخوف منه جل وعلا في السر والعلانية، فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«لأَعلَمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بأعمالٍ أمثالِ جبالِ تِهامةَ بيضاءَ، فيجعلها اللهُ هباءً منثورًا قال ثوبانُ: يا رسول اللهِ! صِفْهم لنا، جلِّهم لنا؛ لا نكون منهم ونحن لا نعلمُ. قال: أما إنهم إخوانُكم، ومن جِلْدَتِكم، ويأخذون من الليلِ كما تأخذون، ولكنهم قومٌ إذا خَلوا بمحارمِ اللهِ انتهكُوها»([[34]](#footnote-34)).

16 - أن تستحي منه في الخلوة أعظم مما تستحي من أكابر الناس.

قال الله تعالى:﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء ١٠٨].

قال السعدي: «ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصًا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجناية، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ليفعل ما بيتوه. فقد جمعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ أي: قد أحاط بذلك علما، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة " ([[35]](#footnote-35)).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ» ([[36]](#footnote-36)).

17 - أن يختار العبد حده وجنبه وناحيته عن ناحية الناس وجنبهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [ النساء: 115]

قال ابن كثير: «وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، فَصَارَ فِي شِقٍّ وَالشَّرْعُ فِي شِقٍّ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْد مِنْهُ بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ لَهُ وَاتَّضَحَ لَهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ هَذَا مُلَازِمٌ لِلصِّفَةِ الْأُولَى، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشَّارِعِ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فِيمَا عُلِمَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا، فَإِنَّهُ قَدْ ضُمِنت لَهُمُ الْعِصْمَةُ فِي اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم صلى الله عليه وسلم ».

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 63] ([[37]](#footnote-37)).

قال ابن كثير:«أَلَمْ يَتَحَقَّقُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ، أَيْ: شَاقَّهُ وَحَارَبَهُ وَخَالَفَهُ، وَكَانَ فِي حَدٍّ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي حدٍّ ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ﴾ أَيْ: مُهَانًا مُعَذَّبًا، ﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ أَيْ: وَهَذَا هُوَ الذُّلُّ الْعَظِيمُ، وَالشَّقَاءُ الْكَبِيرُ ([[38]](#footnote-38)).

18 - إن من وسائل تعظيم الله جل وعلا، بذل البدن والقلب والروح في خدمة دينه تبارك وتعالى: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام:164].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قل ﴾، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾، يقول: وذبحي ﴿ ومحياي ﴾، يقول: وحياتي ﴿ ومماتي ﴾ يقول: ووفاتي ﴿ لله رب العالمين ﴾، يعني: أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان ﴿ لا شريك له ﴾ في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا ﴿ وبذلك أمرت ﴾، يقول: وبذلك أمرني ربي ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾، يقول: وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك" ([[39]](#footnote-39)).

19 - إن من تعظيم الله جل وعلا تقدم مراده وأمره سبحانه وتعالى على مراد نفسك وامرك، ومراد الخلق جميعاً.

قال الله تعالى﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص:68].

قال ابن كثير: «يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُنَازِعٌ وَلَا مُعَقِّبٌ فَقَالَ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أَيْ: مَا يَشَاءُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْأُمُورُ كُلُّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا بِيَدِهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْه وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ نَفْيٌ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٣٦] " ([[40]](#footnote-40)).

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص ٦٨.

قال السعدي: «هذه الآيات، فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر [والأزمان] والأماكن، وأن أحدا ليس له من الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزه عن كل ما يشركون به، من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون" ([[41]](#footnote-41)).

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا (٣٦) ﴾ أي لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا ﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد " ([[42]](#footnote-42)).

20 - الحذر من أن يستحي العبد من الناس، ولا يستحي من الله تعالى.قال الله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [ الأحزاب:37]،وقال عز من قائل: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء: 108].

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى:﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ ﴾ ) أيْ: يَسْتَتِرُونَ مِنهم كَقَوْلِهِ: ( ﴿ ومَن هو مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾ ) [الرعد: ١٠] أيْ: مُسْتَتِرٍ، وقِيلَ: مَعْناهُ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ أيْ: لا يَسْتَتِرُونَ مِنهُ أوْ لا يَسْتَحْيُونَ مِنهُ، والحالُ أنَّهُ مَعَهم في جَمِيعِ أحْوالِهِمْ عالِمٌ بِما هم فِيهِ، فَكَيْفَ يَسْتَخْفُونَ مِنهُ إذْ يُبَيِّتُونَ؛ أيْ: يُدِيرُونَ الرَّأْيَ بَيْنَهم ». ([[43]](#footnote-43))

21- تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوقيره، وتعظيم سنته وحديثه، مما يجب تعظيمه وتوقيره.

يقول ابن تيمية في تقرير وجوب توقيره وإجلاله: "إن الله أمر بتعزيره وتوقيره، فقال: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح:9] والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار ([[44]](#footnote-44)).

ومن ذلك: أنه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾ [النور:63]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يانبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط.

ومن ذلك: أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذَن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ([[45]](#footnote-45)).

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره، فلا يُذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، وأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين" ([[46]](#footnote-46)).

22-إنّ الإيمان بالله تعالى مبني على التعظيم والإجلال له عزّوجل، قال الله تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾[مريم 90]

قال الطبري: «عن ابن عباس، قوله ﴿ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن من ولدا ﴾ قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين([[47]](#footnote-47)).

وقال ابن كثير:« أَيْ: يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ فَجَرَةِ بَنِي آدَمَ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا؛ لِأَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ:

وَفِي كُلّ شَيءٍ لَهُ آيةٌ... تَدُل عَلَى أَنَّهُ واحِدُ" ([[48]](#footnote-48)).

23 - إن من وسائل تعظيم الله جل وعلا معرفة عظيم قدرة الله تعالى في الخلق، قال الله تعالى:﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس ٨١-٨٣]

قال ابن كثير:« يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خلق السموات السَّبْعِ، بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَالثَّوَابِتِ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَرِمَالٍ، وَبِحَارٍ وَقَفَارٍ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَمُرْشِدًا إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ العظيمة ([[49]](#footnote-49))».

24 - التعرف على نعم الله تعالى، وتذكر آلاء الله عزّ وجل مما يوجب تعظيم الله تعالى وإجلاله.

فالله جل وعلا أنعم على مخلوقاته بنِعمٍ لا تُعدّ ولا تُحصى، حيثُ قال في مُحكَم التنزيل: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [سورة النَّحل،18]وقال في آية أُخرى: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [سورة إبراهيم، 34]. ففي تلكما الآيتين دعوةٌ من الله سُبحانه وتعالى للعبدِ أن يتفكّر في نِعم الله تعالى عليه، ويتذكرها ولا ينساها، ويؤدي حقّ شكر الله تعالى على هذه النِّعَم، قولاً وفعلاً وحالاً واستشعارًا، قال سُبحانه وتعالى مُحذرًا من نسيان النِّعَم وكفرانها وإنكارها: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [سورة البقرة، 152].

قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [سورة لقمان، 20].

قال الشنقيطي في تفسير قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ذَكَرَ - جَلَّ وعَلا - في هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ: أنَّ بَنِي آدَمَ لا يَقْدِرُونَ عَلى إحْصاءِ نِعَمِ اللَّهِ لِكَثْرَتِها عَلَيْهِمْ، وأتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلى تَقْصِيرِ بَنِي آدَمَ في شُكْرِ تِلْكَ النِّعَمِ، وأنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِمَن تابَ مِنهم، ويَغْفِرُ لِمَن شاءَ أنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَلِكَ التَّقْصِيرَ في شُكْرِ النِّعَمِ » ([[50]](#footnote-50)).

وبَيَّنَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: أنَّ كُلَّ النِّعَمِ عَلى بَنِي آدَمَ مِنهُ - جَلَّ وعَلا -، وذَلِكَ في قَوْلِهِ: ﴿ وَما بِكم مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ الآيَةَ [النحل: ٥٣]

وقال السعدي في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته" ([[51]](#footnote-51)).

25 - إن مما يحقق تعظيم الله تبارك وتعالى في القلوب والنفوس الإيمان والرضا بقضاء الله تعالى وقدره.

فإذا أيقن العبد في قلبه أن كل ما يجري في السموات والأرض بقدر من الله جل وعلا، يزداد تعظيمه لخالقه ومولاه جل في علاه.

فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار قدّره وقضاه

قال الله تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر:49]،

وقال تعالى: ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ [تبارك:1]، بمعنى أن كل شيء دون الله سبحانه وتعالى فهو مخلوقٌ مربوب، محتاجٌ إلى مليكٍ وإلهٍ يسخّر أموره ويُقدّر له أقداره، وأن كل شيء تحت قهره سبحانه وتسخيره

قال الله تعالى:﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ [الحديد: 22 ].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » ([[52]](#footnote-52)).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر » ([[53]](#footnote-53)).

هذا ما تيسر إيراده، نسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

**المصادر والمراجع**

1 - القرآن الكريم

-2 مسند الإمام أحمد بن حنبل

3 -صحيح البخاري

-4 صحيح مسلم

5 -سنن النسائي

6 -سنن الترمذي

7 -سنن أبي داود

8 -سنن ابن ماجه

9 -السنن الكبرى - للنسائي

-10 صحيح الترغيب - الألباني

11 – التفسير بالمأثور- الطبري

12 - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي.

-13 تفسير ابن كثير

-14 معالم التنزيل، البغوي.

-15 التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيء.

16 -أضواء البيان، الشنقيطي.

-17 تيسير الكريم الرحمن، السعدي.

-18 التفسير الميسر، مجمع الملك فهد في المدينة المنورة.

-19 الشفا، القاضي عياض.

20 -شأن الدعاء، الخطابي.

21 -عقيدة السلف أصحاب الحديث - الصابوني

22 - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول- ابن تيمية.

- 23 مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية.

24- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، الشنقيطي.

25- المختصر في التفسير، مركز تفسير.

26- فتح القدير، الشوكاني.

1. - تفسير الطبري، موضع الآية من سورة مريم، آية 90. [↑](#footnote-ref-1)
2. - تفسير السعدي، موضع الآية من سورة مريم، آية 90. [↑](#footnote-ref-2)
3. - أخرجه أحمد (9359)، وأبو داود (4090). [↑](#footnote-ref-3)
4. - أخرجه أحمد (7382)، وأبو داود (4090). [↑](#footnote-ref-4)
5. - تفسير الطبري موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-5)
6. - الصارم المسلول، ابن تيمية، ص 55. [↑](#footnote-ref-6)
7. - مدارج السالكين، ابن القيم: 2/495. [↑](#footnote-ref-7)
8. - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، الشنقيطي: ص36.  
    [↑](#footnote-ref-8)
9. - المختصر في التفسير، مجمع الملك فهد، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-9)
10. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-10)
11. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-11)
12. - تفسير القرطبي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-12)
13. - المختصر في التفسير، مجمع الملك فهد، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-13)
14. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-14)
15. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-15)
16. - فتح القدير، الشوكاني، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-16)
17. - التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-17)
18. - معالم التنزيل، البغوي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-18)
19. - تفسير السعدي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-19)
20. - أخرجه أحمد (٣٢٤٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٥) بإسناد حسن. [↑](#footnote-ref-20)
21. - شأن الدعاء، الخطابي، ص 18، 19. [↑](#footnote-ref-21)
22. - الشفا، للقاضي عياض، 2 / 1096. [↑](#footnote-ref-22)
23. - أخرجه الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص17، 18. [↑](#footnote-ref-23)
24. - أخرجه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢١(. [↑](#footnote-ref-24)
25. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-25)
26. - نفس الموضع. [↑](#footnote-ref-26)
27. - البخاري، 7145، مسلم، 1840. [↑](#footnote-ref-27)
28. - أخرجه أحمد (20670) بإسناد حسن. [↑](#footnote-ref-28)
29. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-29)
30. - تفسير السعدي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-30)
31. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-31)
32. - المختصر في التفسير \_ مركز تفسير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-32)
33. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-33)
34. - صحيح الترغيب، الألباني، ٢٣٤٦. [↑](#footnote-ref-34)
35. - تيسير الكريم الرحمن- السعدي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-35)
36. - البخاري (9 )، مسلم (35 ). [↑](#footnote-ref-36)
37. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-37)
38. - نفس الموضع. [↑](#footnote-ref-38)
39. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-39)
40. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-40)
41. - تفسير السعدي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-41)
42. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-42)
43. - فتح القدير، الشوكاني، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-43)
44. - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، ابن تيمية، ص422- 424. [↑](#footnote-ref-44)
45. - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، ابن تيمية، ص422- 424. [↑](#footnote-ref-45)
46. - الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول، ابن تيمية، ص422- 424. [↑](#footnote-ref-46)
47. - تفسير الطبري، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-47)
48. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-48)
49. - تفسير ابن كثير، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-49)
50. - أضواء البيان، الشنقيطي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-50)
51. - تفسير السعدي، موضع تفسير الآية. [↑](#footnote-ref-51)
52. - رواه الترمذي بإسناد صحيح، (2141). [↑](#footnote-ref-52)
53. - رواه أحمد بإسناد صحيح، (2/111). [↑](#footnote-ref-53)